



الغربة والاعتراب في روايتي علي بدر (عازف الغيوم) و(الكافرة)

تهزره نورالدين نجم الدين^١ - لطيف محمد حسن^٢

latif.muhammad@koyauniversity.org - tazra.nooraldin@uor.edu.krd

^١ قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة رابرين، رانيه، إقليم كردستان، العراق.

^٢ قسم اللغة العربية، فكتي التربية، جامعة كويه، كويه، إقليم كردستان، العراق.

ملخص

هذه الدراسة تهتم بظاهرة الغربة والاعتراب في روايتي علي بدر (عازف الغيوم) و(الكافرة)، إذ تشير الدراسة إلى الشخصيتين اللتين غادرتا بلدهما العراق بحثاً عن حياة أفضل، أشارت الدراسة في رواية عازف الغيوم إلى شخصية (نبيل) الذي غادر بلده نحو بروكسل وفي رواية (الكافرة) إلى شخصية (فاطمة) التي غادرت العراق نحو بلجيكا. تصوّر الدراسة الأسباب التي أدت إلى اتخاذ قرار ترك البلاد، سواء كانت هذه الأسباب دينية أو سياسية أو اجتماعية فكان لديهم دوافع وقناعة بترك البلاد. تصوّر الروايتان المشاهد المؤلمة منذ البدء برحلتهم من العراق إلى الغربة وكذلك المعاناة والمصاعب التي واجهتهما في طريق الوصول إلى الغربة.

بيئة العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، جعلت مواطنيها يهاجرون منها إلى المنفى وأمثلة ذلك ما جاء في رواية (الكافرة) حيث يصور الروائي شخصية فاطمة. وقد أجبرتها القوات المسلحة المتطرفة على مغادرة بلدها وكذلك ما تعرض له نبيل في رواية (عازف الغيوم) وما لحقه في بلده قبل أن يصطدم بما لحق به وينتظره هناك في بلجيكا. عرضت رواية (عازف الغيوم) شخصية نبيل القوية من خلال المعاناة التي واجهها في طريقه إلى أوروبا ورغم ما رافقه من الخوف والقلق، فرغبته في مواصلة رحلته تفوق المشاق التي يتحملها الآلاف من أبناء بلده للوصول إلى الملاذ الآمن الذي ينشدونه. وبالمثل، فإن معاناة فاطمة في رواية "الكافرة" تتجاوز الخوف والقلق في الطريق إلى مسألة تعرضها للاعتداء في الطريق إلى بروكسل.

الكلمات المفتاحية: الغربة، الاعتراب، التشرد، الرواية، علي بدر.

The Themes Of Alienation And Estrangement In Ali Badr's Novels (Cloud Player) And (The Infidel Woman.)

Tazra Nooraldin Najmaldin¹ - Latif Mohammed Hassan²

¹Department of Arabic Language, College of Basic Education, Raparin University, Rania, Kurdistan Region, Iraq.

²Department of Arabic Language, Faculty of Education, Koya University, Koya, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract:

This study focuses on The themes of alienation and estrangement in Ali Badr's novels (Cloud Player) and (The Infidel Woman). The study highlights two characters who left their homeland, Iraq, in search of a better life. In "Aazif al-Ghaym," the study points to the character Nabeel, who left his country for Brussels, and in "Al-Kafira," it focuses on the character Fatima, who left Iraq for Belgium.

The study examines the reasons that led to the decision to leave the country, whether they were religious, political, or social. The novels depict the painful scenes of their journey from Iraq to exile, as well as the suffering and challenges they faced on the path to reaching a new land.

The political, economic, and social environment of Iraq compelled people to emigrate, as illustrated in "Al-Kafira," where the novelist portrays the character Fatima forced to leave her country by extremist armed forces. Similarly, Nabeel in "Aazif al-Ghaym" undergoes challenges in his homeland before colliding with what awaits him in Belgium.

In "Aazif al-Ghaym," the novel presents the strong character of Nabeel through the suffering he encounters on the journey to Europe. Despite fear and anxiety, his determination to continue the journey surpasses the hardships faced by thousands of his compatriots seeking a safe haven. Likewise, in "Al-Kafira," Fatima's ordeal on the road extends beyond fear and anxiety to the issue of assault on her way to Brussels.

Keywords: Alienation, Estrangement, Displacement, Novel, Ali Badr.

1.1. المقدمة:

الغربة والاعتراب مصطلحان يُشيران إلى حالات الهجرة، وفقدان المأوى، والتشرد للأفراد عن موطنهم التي ينتمون لها، وتعود أسباب الغربة والاعتراب لعدة جراحات واجهها الفرد العراقي نتيجة صراعات مسلحة لسنوات عديدة من تاريخ العراق

المعاصر، آخرها الحرب الأهلية وما قامت به العصابات من قتل وخطف وتهديد فضلاً عن التدخل الأجنبي والاشتباكات العنيفة التي عصفت بشعبه، كل تلك الأسباب تضافرت في تشريد العديد من الافراد والأسر إلى المنافي المختلفة لحماية سلامتهم وحياتهم. ويقع المواطنون ضحية التمييز العرقي والديني والسياسي، مما يضطرهم إلى الفرار بحثاً عن الأمان والحرية وإحترام الإنسانية. وهذا ما يدفع المواطنين إلى البحث عن فرص عمل وظروف معيشية أفضل خارج البلاد. (السكاف، 2014. 10).

يعد كل من هيغل وماركس من أبرز المفكرين الغربيين الذين عالجوا موضوع الاغتراب، ففي الوقت الذي كانت معالجة هيغل له مجردة بحيث ربطه بالعقل، كانت معالجة ماركس ملموسة حرّرت المفهوم من تجريدات العقل، وكما أن ماركس يعتقد عكس ما يعتقد هيغل بأن قهر الاغتراب يكون عن طريق الثورة ومحاربة المستغلين لا عن طريق التخلي عن الذات والتسليم لها والاتحاد بالبيئة الاجتماعية (النوري 1988، 28). ويتفق إميل دوركايم "مع" ماركس في كون الظروف الاقتصادية وتطورها قد أدت بالفعل إلى الاغتراب الناتج من وجهة نظره عن اضطراب في المعيار الاجتماعي الأخلاقي، فالاغتراب انبثق عن التحولات الاقتصادية التي طرأت على المجتمع بصورة فجائية وأدت إلى قلق الفرد من مجتمعه وبؤسه منه. فأصبحت المجتمعات قائمة عن التناقض بين حاجات الفرد وإمكاناته من ناحية ثم على فقدان المعايير الأخلاقية في مثل هذه المجتمعات من ناحية أخرى مما يجعل الإنسان يشعر بالعزلة وعدم القدرة على التكيف مع ظروف الحياة الاجتماعية (خالد 1998، 154). والواقع أن العديد من المفكرين الأوربيين المعاصرين تعاملوا لاحقاً مع مفهوم الاغتراب كل حسب منظوره، ويصفون الاغتراب بأنه شعار العصر أو بأنه واحد من أضخم المشاكل التي تواجهها اليوم معتبراً الإنسان المعاصر إنساناً أجوفاً (فهيم 1975، 120).

نتناول في هذه الدراسة محور الغربة والاغتراب تحت عنوان (الغربة والاغتراب في روايتي علي بدر (عازف الغيوم) و(الكافرة)، نطالع في رواية (عازف الغيوم) الشخصية التي غادرت بلدها العراق إلى بلجيكا بحثاً عن الحرية وابتعاداً عن مجتمعه الذي أوصفه بالتخلف والتدني وعدم وجود حرية الفرد فيه ليمارس رغباته الشخصية، كما تطالعنا في رواية (الكافرة) الشخصية الرئيسية فاطمة التي تعرضت للتهديد والتخويف من قبل الجماعات المتطرفة مما أجبرت على ترك بلدها متجهة إلى بروكسل باحثة عن ملاذ آمن تستقر فيه.

المدخل

ظاهرة الغربة والاغتراب تحظى باهتمام الرواية العراقية، وفي روايات علي بدر بشكل خاص، إذ تناول في تجربته السردية وعبر شخصياته المأساوية في رواياته، تأثير النزاعات والصراعات السياسية والاجتماعية على أفراد المجتمع العراقي. ويركز على تجارب الشخصيات المشردة والمهجرة، ويروي قصصهم ومعاناتهم، ويتناول قصص الأشخاص الذين فقدوا ديارهم، وأحبائهم مصوراً التحديات والصعوبات التي يواجهونها أثناء محاولة تكيفهم مع الحياة الجديدة في المنفى. ويتمحور اهتمامه أيضاً حول العواطف والصراعات الداخلية للشخصيات المشردة، وتأثير ذلك على هويتهم وحالاتهم النفسية؛ مبيّناً الصورة الحقيقية للحياة في ظل الظروف الصعبة التي يمرون بها بأسلوب واقعي واضح، ويتساءل عن مفهوم الوطنية والروابط الاجتماعية بعد الانفصال عن الوطن. فضلاً عما تبرزه رواياته من صراع داخلي للأفراد المشردين بين الحنين للوطن والرغبة في بناء حياة جديدة في بلد اللجوء. تستكشف الروايات العواطف المتضاربة مثل الألم والشوق والخوف والأمل التي ترافق عملية التشريد والمنفى.

الاغتراب ظاهرة اجتماعية قديمة عرفها البشر منذ أن هبطوا على الأرض لأول مرة. إنه جزء من الطبيعة البشرية ودافع أساسي. إنها ظاهرة غريبة ولها أشكال وخصائص سلوكية مختلفة لدى البشر المختلفين. الخصائص السلوكية. وفقاً لبعض

الأسباب والمصادر، فإن الغربة لها مفهوم واضح المعالم. وكان لها مفاهيم واستخدامات ومصطلحات واضحة، ولكنها في العصر الحديث اتخذت أشكالاً سلوكية وتعبيرية معقدة. وبما أن الغربة أصبحت من أبرز الظواهر، فقد اتخذت أشكالاً وصوراً سلوكية وتعبيرية معقدة. ويرجع ذلك إلى عدد من التعريفات المعاصرة. فهي ترجع إلى الوضع الإنساني الجديد المأساوي، إضافة إلى أنه قد تم رصدها لتحديد أبعاد مفهومها. وهو ناتج عن الحروب العالمية والإقليمية المتواصلة والمصاعب المرتبطة بها. لذلك تركز هذه الدراسة على ظاهرة الاغتراب وكيفية تداخلها مع مصطلح الاغتراب المعاصر. لذلك تركز هذه الدراسة على ظاهرة الغربة وكيف تتداخل مع مصطلح الاغتراب المعاصر.

على الرغم من سقوط النظام منذ عام 2003، إلا أن الرواية العراقية تتسم بالكآبة والتشاؤم. فتظهر الجماعات المسلحة والجماعات الإرهابية وعصابات القتل والتفجيرات والقتل العشوائي، وترتبط المسألة ليس فقط بالنظام السابق بل بالوضع الذي آل إليه العراق بعد سقوط الدكتاتورية. ويؤدي هذا الوضع إلى ظهور حالات من التهجير والتهميش، كما رأينا في روايات علي بدر في هذه الدراسة.

المطالب الاول: الغربة والاغتراب في رواية عازف الغيوم

- معاناته في بلده

في رواية "عازف الغيوم"، تبرز شخصية "نبيل"، الشاب الغاضب على الجماعات المسلحة التي سيطرت على مدينته بعد سقوط الحكم. يضطر الناس للتنازل عن حقهم الذي تكفله حقوق الانسان في اعتناق أية انتماء إيديولوجي لصالح هذه الجماعات، فيقرر "نبيل" الهرب حفاظاً على حياته، بعد أن تظهر الرواية ما يملكه من عزيمة ورؤية لصناعة مصيره، إلا أنه في الوقت نفسه فرد منعزل ومتشائم يائس من الحياة وينفصل عن القطيع بسبب العلاقات الاجتماعية المصطنعة. يشعر أن علاقاته لا تتسم بالحقيقة وكأنه يؤدي دوراً فارغاً في مسرحية مأساوية، وأن حديثه لا قيمة له في ظلمة مسرح فارغ. نجد في الوصف السرد الذي يبين تجربته ومعاناته في الرواية، يقول السارد: "وأخذ يعدد الصروح التي انتهت من حياته أو تلك المهدة بالهرم.... لم يعد له أصدقاء، لم تعد هنالك بارات كما كانت. ماعد له أي مستقبل كعازف تشيللو في هذا البلد، بل حتى علاقته بأبويه شعر أنها لم تكن سوى علاقات شكلية، بلا جوهر، بلا محتوى، بلا عاطفة علاقاته مع الجميع كانت تصنع. لم تكن لها أية صلة بالحقيقة. كانت تمثيلاً أخرق في مسرحية بائسة. كانت تمثيلاً لنص ثقيل، بلا أصداء، يدار في صمت كثيف وأسود. بل كانت كلاً فارغاً في ظلمة خرساء لمسرح فارغ". (بدر، 2017، 23) يركز السرد على فقدان الصداقة والعلاقات الاجتماعية، ويعكس الظلم والعنف الذي يلحقه ويمارسه الأعداء عليه، يخلق الوصف السردى جواً من التوتر والصدمة كما في هذا المشهد، جاء في استهلال الرواية ليكشف عن الغربة النفسية، التي نعدها هرباً من الأحداث التي تجري في المدينة فيقول الراوي: " اتصل نبيل مساء بوالده ليخبره قراره بالفرار من البلد مع احد المهريين هذا اليوم ليلا. لم يتردد الوالد بمحاولة إقناعه بالعدول عن هذه الفكرة الخطرة وأنه سوف لن يجد السعادة في المنفى...

ماذا تعني بهذا؟ قال نبيل مستفسراً من والده

-أعني .. أعني ببساطة شديدة لن تجد الراحة هناك" (بدر، 2017، 7)

ويستمر الحوار بين نبيل ووالده عندما يسأله والده: " - ماذا تعني الحياة بالنسبة لك؟

_ أنا لا أجد أية حياة هنا.

_ ماذا تقصد أنت بأنك لا تجد حياة هنا.

_ لا أظن أننا سنختلف حتى على تعريف الحياة؟

_ نحن نختلف؟

_ماذا تقصد أنت؟

_ أقصد؟ لا أقصد أي شيء أنا راحل هذا اليوم هذا كل ما في الأمر " (بدر 2017، 8) نلاحظ تقنية الحوار الاستطرادي كيف يوظف كأسلوب رئيسي للتواصل بين الشخصيتين، مما يسهم في رسم صورة أوضح لأفكارهما ومشاعرهما. تتجلى حجة الإقناع لدى نبيل، من خلال تشكيل مجموعة متنوعة من المداخل والمخارج لتمرير حلمه المستقبلي بالهروب من الوطن. يتضح هنا أن الاغتراب يتجاوز الفضاء المكاني والزمني، ويعبر عن شكوى اغترابية لها أبعاد ثقافية وحضارية مضمرة، لتجلى المحصلة النهائية بجعل الوطن طاردا للذات سالبا لإنجازاتها المهنية. ولعل الإصرار المستمر لنبيل العازم على ترك وطنه يعكس تمسكاً قوياً بتلك الرغبة، وتأتي الأحداث التي تسبق إهانته وتدمير آله الكلاسيكية على يد الرجال المسلحين كعامل معزز لهذه الرغبة، ويزيد من حماسه لتحقيق حلمه في الهرب وبناء مستقبل خارج البلاد ورغم شعوره بأنه لن يجد السعادة في المنفى إلا أنه يصر عليه لأن الحياة في العراق أصبحت محالاً له، فهو لا يستطيع الانسجام مع هذا المجتمع بعد كل ما حصل له من الجيران والرجال المسلحين، فيقول السارد: "أول ما واجهه نبيل في الحي اعتراض الجيران، فقد فوجيء يوماً بعدد من أهل الحي الذين تجمعوا أمام العمارة، طالبين منه أن يكف عن إزعاجهم بهذه الموسيقى... لقد صدم نبيل بهذه الواقعة، ذلك أنه تساءل عن كمية الأصوات وأنواعها التي تأتيهم كل يوم، ومن كل مكان، في هذا الحي ... أصوات منبهات السيارات، أصوات المطربين الشعبين من المسجلات التي يحملها المراهقون... كل هذا لا يزعجهم فقط هو صوت التشيللو.... ماذا أفعل لكم؟ قال في البداية....

-ماذا تفعل لنا ...قلنا لك أن تتوقف عن هذا الهراء..." (بدر، 2017، 20) يشير هذا المقطع إلى أن "نبيل" حقيقة تحول إلى مغترب، ليس مغترباً في بلد آخر، بل في وطنه وبين أحبابه وعائلته، أشبه بكابوس لايفارقه، فبسبب الاختلاف حول وجهة النظر الثقافية والدينية بينه وبين مجتمعه الذي أدى إلى خلق مشاكل نفسية لديه، فكلما حاول نبيل التقرب والسعي من أجل الوصول إلى هدفه، يجد أمامه فرقة متشددة تمنعه من ممارسة هوايته المفضلة (الموسيقى والعزف على آلة التشيللو). ودليل ذلك قول نبيل على لسان السارد: " قال نبيل وهو يضع يده على جبينه ويجلس على الأريكة. إنهم هم أصحاب السلطة، الجهلة هم أصحاب السلطة، سواء كانت دينية، أم اجتماعية، أم سياسية، وكلهم يريدون تطويعه، ثنيه، العمل على إخضاعه.

آه من الطبقة الرثة.

بسبب تلونهم وخياناتهم أثناء التحولات السياسية الكبرى، وهكذا هم أيضاً بالنسبة للنبيل: "فبعد أن كانوا مليشيات لصدام في الماضي تحولوا إلى مليشيات دينية" (بدر، 2017، 23) ومن هنا يتضح لنا تحول الأنساق الثقافية وصعود هويات وهبوط أخرى تماشياً مع قلب الحياة السياسية، فضلاً عما يضمهر النص الروائي من دلالة تشير إلى رغبة التسلط والتهميش وتوظيف لغة القوة والعنف دون اللجوء إلى لغة الحوار والتفاهم، تماشياً مع مبدأ السيطرة والاستبداد، وهي التي سادت في ظل صعود هذه الأنساق والفئات الاجتماعية من المعتوهين والجهلة بعد تراجع سطوة الحكومة، وما رافقها من فوضى سادت الواقع السياسي والاجتماعي بصعودها غير السوي، واستغلال الدولة حيث تعرض (نبيل) - الذي يعزف على التشيللو - للتعذيب من قبل الجماعات المسلحة، بهدف تحقيق سلطة مطلقة ونظام مهيمن على الساحة الاجتماعية.

ويمثل هذا المشهد تصاعد العنف والتطرف إلى آفاق أكثر وحشية وتعميماً. يعكس تعذيب نبيل رغبة الجماعات المسلحة في الهيمنة من خلال التهريب والاستبداد: " انهال الأوباش المسلحون على آله. قطعوا أوتارها، ضربوها على الأرض، ركلوها بأقدامهم حتى حطموها تماماً" (بدر، 2017، 23). ومن هنا يبرز لنا التطرف الديني وتغيب سمة الحوار وتوظيف العنف الذي يطبق أيولوجية مخطط لها، لجعل الآخر يعيش في حالة الخوف وفي ربكة الاستعباد والتبعية بعيداً عن ثقافة حرة وعلى

ضرورة الفن في الحياة، لأن محاولة عزل الفن عن المجتمع لن يؤدي إلّا إلى ضياع قسط من السعادة في الواقع الاجتماعي، إلا أنهم يريدون حصر الفن في قوالب شكلية وفق أفكارهم المتزمنة المختلفة. (عطية، 1981، 12)

- مشقة الطريق

تبدأ رحلة الهجرة عند نبيل بمشقة الطريق والمخاوف التي تواجهه في طريقه إلى بروكسل فيقول السارد: "ها هو الآن جنب المهرّب الذي سيقوده إلى المكان المعلوم به .. إلى الحياة فيما وراء البحار سنذهب هناك إلى مدينة فاضلة تقع وراء البحار .. هناك حيث الفنان فيها كما لو أنه يعزف الموسيقى في الغيوم .. لكن السؤال الذي طرحه نبيل تلك اللحظة على نفسه .. هل يمكن الوصول إلى المدينة الفاضلة أو الحياة الكائنة وراء البحار أو التي يسميها الشعراء المكان الآخر .. بسيارة تشبه سيارة توصيل البيتزا وبمهرّب يشبه بوصطحي" (بدر، 2017، 36) فغربة (نبيل) هنا هو من أجل تحقيق الذات والإرادة الشخصية المتمثلة في أبعادها الثقافية، والخروج من أسر التبعية، فتكررت ثيمة "المدينة الفاضلة" في أكثر من موضع في الرواية، تلك اللفظة التي تحمل دلالة ترتبط بالسخرية من الواقع الاجتماعي الداخلي المتمثل بالوطن والواقع الخارجي الذي تمثله أوروبا. ويظهر هذا النهج بوضوح في مشهد توقف سيارة المهرب الزرقاء في المكان النائي والصحراوي. يطالع القارئ الشخصية الرئيسية (نبيل) في حالة من الارتباك حيث لا يعرف موقعه بالضبط بعد خروجه مع المهرّب، ويستخدم البناء المشهدي لخلق توتر في عوالم الرواية. النص يقدم لنا لمحة عن الشخصية الرئيسية نبيل، العازف، وهو في طريقه مع المهرب نحو مكان غامض وراء البحار. التقنيات السردية ملفتة؛ حيث يتجلى التشويق من خلال تقنية الحوار، مما يكشف لنا دوافع نبيل وتوتره حيال تحقيق حلمه، مع تصوير سيارة المهرب كـ "سيارة توصيل البيتزا"، مع تساءل نبيل عما إذا كان بإمكانه الوصول إلى هذه المدينة المجهولة بواسطة مهرّب يُشبه بوصطحي.

وعندما "مسح نبيل بنظره السائق الجالس إلى يساره من الأعلى إلى الأسفل. كان الأخير في الستين من عمره، ذا سحنة ريفية، بشعر أبيض، وشوارب سوداء قاتمة، كأنها صبغت بصبغ أحذية. وهو الصبغ الذي يصبغه الفقراء عادة. يرتدي بنطلوناً صناعة صينية رخيصة، وقميصاً، موضة محلية لشخص أصغر من عمره لتلك الأيام، بكثير. كان الشكل يذكّر بممثل أفلام مصرية، حاول تذكّر اسمه، لكنه لم يفلح، ففضل أن يجلس إلى جواره دون أن يعيره انتباهاً" (بدر 2017، 16). يستخدم الراوي اللغة الوصفية بشكل يتجاوز مجرد وصف المشهد. يعبر عن نقد اجتماعي من خلال وصف الشخصيات وملابسهم؛ فالوصف الدقيق للسائق وملابسه غير الملائمة يمكن أن يكون رمزاً للطبقات والأجيال المختلفة عن جيل نبيل، ولوجود الفوارق الاجتماعية والثقافية. ومن خلال إدراج وصف داخل وصف آخر، يتم توجيه نقد آخر نحو السينما المصرية، ربما لتصويرها للواقع بطرق معينة وكيفية تجسيد الشخصيات والمواقف. يظهر هذا كيف يمكن لوصف الواصف أن يحمل معانٍ أعمق ويرسل رسائل ضمنية تتجاوز الوصف السطحي للأحداث والشخصيات.

وفي مشهد آخر عندما يسأل نبيل السائق: "أين نحن الآن ؟ لم يجبه بدا عليه القلق وهو يتصل بالموبايل بشخص آخر " الأسلوب الاستفهامي في السرد يمهد الطريق لمشهد مفعم بالتشويق والغموض. يبدأ بسؤال يحمل توترًا وتبرز قلق المهرب كما يتبين من عدم رده على السؤال، حيث يلجأ إلى الاتصال المتكرر بالهاتف. ويزداد القلق والتوتر عند نبيل وهذا الموقف يشير عنده إلى تساؤلات أخرى ذلك أنه من غير المعقول أن يذهب إلى أوروبا بهذا النوع من السيارات ومع شخص بهذه الهيئة وهذا الوجه الذي يفتقر إلى أي ملمح من الذكاء، لكنه كان محققاً بهذا أيضاً لأنه كان خائفاً لئلا يكون الأمر كله من قبيل النصب والاحتيال وما أكثر هذه الأشياء في تلك المدة.

عندما وصل نبيل إلى ذروة تصاعد الأحداث، تسلّق الشاحنة التي نقلته بعيداً عن المكان المرعب. ومع مرور الزمن، تحوّلت تلك الأحداث إلى مجرد ذكريات سريعة، خاصة بعدما اتجه نحو ملاحقة دليل مبهم ومخفي في الحاضر. بعد فترة صراع مثيرة

ومحفوظة بالصعوبات، استقرت خياله على توقعات تتعلق بحبيبته أوربا. لكن على الرغم من التوقعات، تحولت هذه التصورات إلى مشهد واقعي في ظلمة الصندوق الخلفي للشاحنة. فيقول السارد: "هكذا سافر نبيل داخل صندوق في شاحنة مغلقة .. لذا فهو لا يرى الطريق في الخارج لا يعرف من أين دخلوا ولا أين وصلوا .. السيارة تسير فقط .. وهو في صندوق يحسب الساعات التي تمر ساعة بعد ساعة أخرى .. ما كان يقلقه هو نصب واحتيال المهرين / ماذا لو لم تكن هنالك رحلة إلى أوربا ؟ هكذا قال في نفسه " (بدر، 2017، 43) تقدم لنا تدفقات الأدلة المبهمة في رحلة نجاة نبيل إلى أرض بلجيكا سلسلة من المشاهد المشوقة والمثيرة وتبرز بشكل خاص في سياق وصول الشاحنة أخيرًا إلى مكان غامض ومثير للاهتمام. تصاعد التشويق من خلال هذه اللحظات، وتتجلى ذلك بشكل واضح في السيناريو الذي يتضمن وصول الشاحنة إلى موقع غريب ومهجور. يظهر المكان بشكل يخلق التوتر، وتواري المؤشرات تشير إلى أن الشاحنة قد وصلت إلى مرحلة مهمة وحاسمة في رحلتها.

وينصدم نبيل من المنظر الذي رآه حينما: "قال له المهرب بصوت خفيض وهو يلتفت كأنه يبحث عن شخص ما : . اهبط بسرعة هذي هي بروكسل .. بروكسل صحيح ؟ .. بروكسل ؟ .. معقولة ؟ لم يكن نبيل مصدقا أول الأمر .. فما أن هبط حتى رأى بمواجهته ساحة مظلمة .. قدرة .. لا تتميز عن أي ساحة في العالم الثالث .. هبط ببطء وهو يجر حقيبته وراءه " (بدر، 2017، 49). لما وصل نبيل إلى بروكسل، حدث ما لم يكن متوقعا، فقد وجد نفسه في ساحة متسخة، فلو قارنها ببغداد ستبدو هذه الأخيرة مدينة أنظف. فخاف أن يذهب ضحية طمع المهرين، فقد سمع عن قصص كثيرة، عن مهاجرين أرجعوا إلى أوطانهم من دون علمهم، ولم يزل مفعول الاستغراب إلّا بعد أن طمأنه المهرب بأنّه في بلجيكا فعلا، فقط أنّ المنطقة التي نزل فيها يسكنها في الغالب مسلمون من المغاربة والأتراك، والباكستانيين، الذين هربوا من أوطانهم بحثا عن حياة كريمة!

- صدمته عند الوصول إلى بلجيكا

إنّ مصدر الدهشة التي أصابت نبيل، نابعة من اكتشافه للوجه الآخر لأوروبا، غير تلك الصورة المثالية التي حملها عنها في مخيلته؛ كان يحلم بأوروبا أكثر تحضرا، وأكثر نقاء لكن بعد أن غزتها جموع المهاجرين القادمين من الدول العربية والإسلامية، ثمة شيء ما تغير في صورة أوروبا، يشبه حالة المسخ.

ويتجلى تكرار مشهد التعذيب عبر رحلة (نبيل) إلى أوروبا، حيث يجد نفسه مجدداً مواجهاً لجماعات تسعى لإلغاء وجوده ومحو هويته الشخصية والثقافية. يرى استمرار الصراع المرّ والتهديدات المستمرة لتحقيق الهيمنة عليه، من قبل المتعصبين ومحاولتهم الدائمة لمنع مزاوله هوايته، يبرهن ذلك هذا النص " فمنذ أن حطمت آلهة الموسيقى في بلده وهو يحلم أن يحصل على واحدة ثانية. حين وصل قريبا من المنزل شعر بشيء غريب هناك يجري. رأى جاره الحداد التركي مع شخصين آخرين يقفان عند باب العمارة. ما إن وصل نبيل حتى قبضا عليه. قال التركي بوجهه الغاضب...

-ما هذه التي تحملها؟

-آلة تشيللو!

-آه تشيللو تريد أن تسمعنا موسيقى تصويرية مع هذا الفلم الإباحي....

ضربة واحدة أطارت له نظارته في الهواء وسقطت على الرصيف.

-....ثم استلم الشخصان الآخران التشيللو ليحطموها وينثراها خشبا على الأرض " (بدر 2017، 70) يؤكد هذا النص على تكرار معاناة نبيل حتى في الغربة من خلال تصاعد الأحداث والصراعات التي يواجهها. رغم أنه فرّ إلى أوروبا بحثاً عن أمان وحرية، إلا أنه ما يزال محاصراً بمشاهد التهميش والعنف، حيث يتعرض للإساءة والاستهجان من قبل جيرانه التركي وحتى في البلد الذي يفترض أن يقدم له حالة من الأمان.

أصبح نبيل يؤمن بأن المهاجرين هم السبب وراء فقدان المجتمع البلجيكي للتناغم الثقافي. يعزو هذا الاعتقاد إلى انتمائهم لثقافات متباينة، حيث يمثلون تصورات ثقافية جامدة مجحفة، تختلف عن مفهوم التناغم الثقافي. أدرك نبيل أنه في محيطه الاجتماعي كان يشبه النغمة الموسيقية المنفردة التي تختلف عن اللحن الجماعي، وبناءً على ذلك كان معرضاً للتهديد والعنف من المجتمع. وبسبب شعوره بالاغتراب في محيطه، قام بتعويض واقعه الصعب بأحلامه، وأصبح يؤمن بأنه تم خلقه في المكان الخاطئ، وأن أوروبا تُعتبر بيئته الطبيعية. وهناك يمكن لشخص مثله أن يتكيف مع جوانب المجتمع المتميزة بحبها للحياة والفن والموسيقى. "إن وجود المهاجرين في أوروبا يُعدّ صوتاً نشازاً إذن؛ عليهم الرحيل". (بدر، 2017، 96)

لون البشرة قد تكون عنصراً مهماً في تحديد الهوية والانتماء في الرواية. يأتي لون البشرة غالباً لبيان الاختلافات الفردية والثقافية والاجتماعية بين شخصيات الرواية، يساهم في تطوير تفاصيل الشخصيات وإبراز الصراعات الداخلية والخارجية التي يمرون بها، وهذا ما حصل لنبيل عندما أراد أن يدخل المظاهرة مع الأجانب ضد المهاجرين يقول الراوي: "وصل نبيل إلى المظاهرة، كانت الأعلام الصفراء كثيرة، كثير الوجوه مصبوغة، بعضهم لون شعره بألوان مختلفة، وبعض نقش على جسده وشوما عبارة عن شتائم وتوعد ضد المهاجرين، اللافتات المرفوعة مكتوبة بخطوط تنتمي إلى القرون الوسطى، كل هذا لم يمنع نبيل من الركض بمرح ظاهر ... ويحمل إحدى لافتاتهم" نبيل يحاول التعبير عن انتمائه لثقافة مختلفة من خلال هذه المشاركة، حيث يتجاهل لون بشرته التي يشير إلى انتمائه لشعب آخر، فهو يحاول أن يظهر نفسه جزءاً من ثقافة غير تلك التي يشير إليها جسده. إلا أن سمات جسمه الحقيقية تكشف عن انتمائه للثقافة الشرقية، مما يسبب إلى احتسابه ككائن غريب بالنسبة للأوروبيين، الذين يرفضونه أو يتخذون إجراءات ضده استناداً إلى هذا الاختلاف. بالرغم من أن هذه البلدان تعزز بالتعددية والانفتاح الحضاري وتعتبر القيم الإنسانية مهمة، إلا أنها تفشل في استيعاب اللاجئين بصدق. في الواقع أن الأغلبية لا تتفاعل بإخلاص مع اللاجئين، يتعرض اللاجئون، بما فيهم نبيل، لمواجهة تهميش ونزوح من السكان الأصليين. تشير تجاربهم أنهم يواجهون صعوبات في الاندماج ويتعرضون لتمييز ومعاملة سلبية متناقضة للمفهوم النظري للديمقراطية والتعددية مع تجربة اللاجئين في الحقيقة. وفي وصف لحظة انضمام نبيل في المظاهرة يقول الراوي: "العيون التي أخذت تقدح في وجهه، كان أشبه بفريسة دخلت في ميدان مجموعة من الضواري لقد تلقفته الأيدي من كل مكان، أيدي المتظاهرين، أيدي رياضية متصلة خشنة، حتى النساء قفزن نحوه". (بدر 2017م، 103)

الصراع الخارجي يشير إلى التباين والتناقض في القيم والمبادئ، حيث يتحوّل هذا التناقض إلى اشتباك، كما حدث مع نبيل عندما شارك في المظاهرة. فيقول الراوي: "لقد تجمعت المظاهرة كلها -تقريباً- على نبيل من أجل سحقه وتهميشه، وهو بينهم عرف أنه مقتول لا محالة" (بدر، 2017، 104) حيث تسببت هذه الاختلافات في تفجير نوع من الصراع بينهم. تعود أسباب هذا الصراع إلى اختلاف أعراقهم والتوجهات المختلفة بينهم.

- المطلب الثاني: الغربة والاغتراب في رواية الكافرة

نجد في رواية (الكافرة) شخصية (فاطمة)، وهي الشخصية الرئيسية في الرواية. ولدت في قرية نائية، يتعرض النساء فيها للعنف بسبب تواجد المسلحين في المنطقة، حيث يجبرن على تقديم الخدمات والدعم للمتشددين. قررت فاطمة أن تتزوج من شاب من قريتها، وتبدأ حياة جديدة معه. ومع مرور الوقت، ينضم زوجها إلى صفوف المسلحين، ويتورط في عملية انتحارية مأساوية. بعد وفاة زوجها تتلقى فاطمة رسالة تهديد من قبل المتشددين، مما تجبرها على التفكير بشكل جاد في الهرب من المدينة للبحث عن أمان وحماية. فتقول فاطمة: "حملت الرسالة التي كان مظهرها مفتوحاً، وعليها ختم المسلحين ... كانوا قد كتبوا عليها آية من القرآن، شممت منها رائحة تهديد لي، ومن ثم طلبت من رئيسهم أن أقابله فخالجني الرغبة بالهرب". (بدر، 2015م، 145) اتخذت فاطمة خطوة جريئة وخاضت رحلة الهرب، تختصر رحلة هربها في

لجوتها إلى مُهَرَّب في بلدتها والذي يبدو عليه في بادئ الأمر رجل واعظ ومتدين يمتلك أداة سحرية لخلاصها من الجحيم الذي تعيش فيه إلى بر الأمان فيقول: " سأُنقذك إلى أوروبا ... اعتمدي علي. نقلت العشرات، أوصلتهم هناك ... اعتمدي علي ... إنه طريق أمين، أنا رجل متزوج، وعندي ابنة، أنا شخص يخاف الله، ولست مثل الآخرين، اعتمدي علي". (بدر، 2015، 146)

يبدو حوار المهرب مغرباً وإثارة انتباه الشخصية الرئيسية والقارئ هذا الأسلوب بشكل جزءاً من التوتر والتشويق في الرواية، حيث يتساءل القارئ عما إذا كان المهرب حقاً يملك القدرة على إنقاذ الشخصية الرئيسية من مأساتها أم أنه مجرد خدعة أو وعد زائف. فتقول فاطمة: "فجأة لم يعد ذلك الشاب الوديع الذي يتكلم معي. لقد نبئت له أنياب وأظافر مثل دُئب. لقد تحول فجأة إلى حيوان. تحول إلى وحش". (بدر، 2015، 149) صدمة فاطمة وتحول الثقة والأمل إلى الخوف والرغبة. إذ اكتشفت الجانب المظلم والمخيف لشخصية ذلك المهرب، وأنها شعرت بالتهديد والخطر الذي يمثله المهرب ذاته. ومعاناة فاطمة أثناء رحلة الهرب عبر الحدود البرية والأجواء المروعة والمخيفة التي تتعرض لها اللاجئة خلال هذه الرحلة. حيث واجهت مخاطر متعددة، بدءاً من مطاردة دوريات الشرطة والحرس على الحدود، وصولاً إلى تهديدات الكلاب التي تتبع رائحتهم" في المكان البارد المروع، في المكان المخيف؛ حيث تلاحقنا دوريات الشرطة على الحدود، وقطعان الكلاب التي تشتم روائحنا" (بدر، 2015، 151). يبين هذا الوصف البيئة القاسية التي التجأت إليها اللاجئة، حيث يشير المكان المعادي الذي تظنه قنطرة الوصول إلى المكان الأليف بعد سلسلة من الأمكنة المعادية الصعبة التي تحيط برحلتها وصعوبة ذلك المكان ضمنه الروائي بوصف لدرجات الحرارة المنخفضة والطقس القاسي الذي يمكن أن يؤثر على الرحلة ويزيد من صعوبتها. فضلاً عن القلق والتوتر اللذان تعيشهما والخطر الذي تتعرض له بسبب وجودها في هذا المكان.

وتستمر في سردتها فتقول: "كنت أتمدّد على الأرض، وأصرخ، توقف، توقف، أرجوك، توقف". (بدر، 2015، 150). بالإضافة إلى ذلك، تصور الرواية الفضيحة الأخلاقية التي تواجهها شخصية فاطمة في رحلتها الصعبة، التي لا تنتهي بتعرضها لاعتداء المهرب، وما اكتنفها في تلك التجربة المؤلمة، بل نجدها بعد أن تصل مدينة بروكسل. وهناك، تقرر أخيراً تغيير هويتها وتبدأ حياة جديدة تحت اسم "صوفيا"، حيث تسعى لبناء مستقبل أفضل بعيداً عن الظروف المأساوية التي كانت تعيشها في وطنها الأصلي.

ويتجلى شعور الضعف لديها نتيجة تأثير الثقافة التقليدية قبل مغادرتها العراق. يبدو أن مرارة هذا الشعور تتجاوز حتى مرارة الهجرة القهرية إلى بروكسل، حيث تشعر بالإهانة والاستصغار من قبل المجتمع لكونها امرأة. بعد تلقيها أذى من قبل المهاجرين اللبنانيين. فتقول "خفت أن أكون امرأة يعني من أن أكون مرغوبة من الآخرين ومطلوبة منهم شعرت أن هذا الأمر سيجعل أحد هؤلاء الرجال طامعاً بي فكرهت هذا التغير والتحول في نبرة صوتي بل أصبحت كارهة لكل شيء من حولي صرت أعيش مكروبة بسبب خوفي من جسدي" (بدر، 2015، 90). وهذا يدل على استغلال الرجل للمرأة في المجتمعات المتدنية.

بالرغم من نجاحها في إخفاء وصمة العار "اغتصابها" التي حملتها، إلا أن هويتها الاجتماعية تتجه نحو الانهيار. فهي غير قادرة على التحلي بالأمان، مما يدفعها لاختيار الفرار من التعصب المترسب في مجتمع بلادها. ومع هذا الاختيار، تجد نفسها في بيئة جديدة مليئة بالحرية، إلا أنها ما تزال تبحث عن هويتها التي اختفت في أعماقها، وصراعها في البحث عن تلك الهوية الضائعة، وتدور في صراع دائم بين ما عاشته في الماضي وبين رحلتها إلى أوروبا وتصديها للتطورات التي حدثت. ونتيجةً لهذا الصراع الداخلي، تعاني من الشعور بالضيق، حيث تجد نفسها تائهة في تناقضات لا تنتهي ومحاطة بحالة من التوتر والقلق. فتقول: "كنت أخشى أن أتكم أخشى أن أقول الحقيقة فلا يصدقني أحد فأنزوي في ألمي وصمتي" (بدر، 2015، 17)

نفهم من ذلك، أن الرواية تصوّر ما يشعر به أفراد المجتمع العراقي بانسطار ذاتي والانفصال عن محيطهم. يشعرون بأن وجودهم غير ملموس ويعانون من اغتراب يجعلهم يتمزقون بين الانتماء والتبعية. يتجسد هذا الاغتراب من خلال

الشخصيات، ولعل فاطمة خير من مثل تلك الأزمة التي تعانيها المجتمعات الشرقية والمجتمع العراقي بالخصوص. ففاطمة في الرواية تتنابها اضطرابات وتراودها نزعة للانتقام ونسيان الماضي، فضلاً عما تعيشه من حالة عدم انتماء أو هوية واضحة تتمتع بها وتحترم من قبل الآخرين، فتقول: إن "الوطن شيء ندافع عنه دون أن نسكن فيه، ومكان نكرهه دون أن نغادره". (بدر، 2015، 6)

- إحساس الغربة عند (فاطمة) في بروكسل

لا تخلو الحياة في المجتمع الغربي من صعوبات ومشاكل بسبب اختلاف شكل اللاجئين عن السكان الأصليين، وهذا ما حاولت تصويره روايات عربية وعراقية مع اختلاف موضوعات تلك الروايات والزوايا والمناطق الروائية التي اشتغلت عليها، إلا أنها بمجملها تصور معاملة الغريب واغترابه عما يحيطه من فضاء بكل حمولات ذلك الفضاء من قيم ومعارف وعادات وتقاليد، وفي رواية (الكافرة) موضوع البحث نطالع ذلك جلياً فيما تتعرض له (فاطمة) وما يثيره شكلها من فضول واستغراب، استغراب مما ترتديه من ملابس متنوعة أو مما هي عليه من هيئة من قبيل: شعرها المجعد أو ملامح وجهها العربية السمراء. وتجعل هذه السمات وضع الشخصية اللاجئة في موقف متأزم، حيث تصبح محل انتباه وإثارة الاستغراب للناس في المجتمع الغربي. يتعين على الشخصية التعامل مع هذا الرفض والتمييز الذي تتعرض له بسبب اختلاف مظهرها الخارجي، إذ تروي: "كنت أسير في الشوارع، والناس تنظرني، باستغراب، بسبب أسمالي الواسعة جداً، بسبب قمصاني المختلفة الألوان التي ألبسها الواحدة فوق الأخرى، أو من شكلي" فكلما تَمَرَّ بها الأيام تزداد إحساسها بالغربة والوحدة النفسية، فحقيقة إن رحلتها إلى أوروبا هي نتيجة كل ما حصل لها في العراق، جعلها تشعر بالضيق، فقد كانت فاطمة تعاني من الوحدة وألم الاغتراب "المكاني والاجتماعي والنفسي والثقافي...." وهذا ما جعلها غريبة عن مكان إقامتها ومضطربة في تصرفاتها، وتعيش حزناً داخلياً وانفصالاً عن العالم الخارجي الذي يحتقرها ويسيء إليها بسبب هويتها العربية.

وعندما تنتقل إلى وصف المكان الذي تعيش فيه تصفه في حركة سردية بطيئة بواسطة ما يبثه الروائي في النص من وصف للمكان وذلك مما يعزز الإيقاع السرد في النص الروائي وهو ما نشخصه في أكثر من موضع في هذه الرواية وفي روايات أخرى لعل بدر نجده فيها يوظف الوصف توظيفاً يمكن تسميته توظيفاً إيقاعياً في السرد المحكي وهذه الساردة تصف المكان بقوله: "غرفة واحدة، تشبه العلبة الصغيرة تقع على مقربة من ساحة لتجمع الترامات" (بدر، 2015، 162) وصف (فاطمة) لأول مسكن خاص بها في بروكسل يبين الظروف الصعبة التي يعيشها اللاجئون ومتاعب تأمين مسكن مناسب بعد اللجوء.

وفي ازدياد شعورها بالوحدة والدونية تتجلى عندها فكرة الانتحار فتقول: "في تلك الأيام السود، جاءني الرغبة الحقيقية، كي أنهي حياتي، لقد قررت أن أنتحر". (بدر، 2015، 172) هكذا هو الشعور بالضيق وفقدان الهوية والاغتراب وما يثيره ذلك من هواجس الانعزال والانتحار، زادت مشاعر الاغتراب والانفصال. ومحاولة الانتحار التي قامت بها فاطمة يمكن اعتبارها نوعاً من انعدام الإحساس بالقيمة، الذي نشأ بعد اندلاع الصراع الداخلي وما يحيطها، وبعبارة أخرى فقدان التناغم والتوازن بين قيم الفرد بما هو فرد له خصوصيته من معتقدات ومفاهيم وموروثات، وبين قيم جمعية يمثلها المجتمع ويحاول فرض سطوته على تلك الذوات وما ينتمي إليهم من خصوصية أشرنا إليها وبما هم عليه من حال العجز وعدم القدرة.

يمكن التعبير عن العزلة بأنها نوع من الإحساس بالإقصاء والرفض كنقيض للقبول الاجتماعي، وهو بالتالي شعور الفرد بالوحدة وفقدان الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة وقد يكون مصحوباً بالشعور بالرفض والانعزال والتنافر عن الأنماط الثقافية للمجتمع وهذا قد يؤدي بالنتيجة إلى البعد بين أهداف الفرد والمجتمع، وفيه يشعر الفرد بالانفصال التام عن القيم الحاكمة في المجتمع، وإن الشعور بالانزواء الاجتماعي، ليس معناه فقدان طاقة تكيف الفرد مع صعيده الاجتماعي، بل معناه انفصال قدرة الفرد عن الطاقات الثقافية. (كوزر، 1835، 414).

الشعور بالوحدة سمة جوهرية في شخصية (فاطمة)، وهو ما لازمها، ابتداءً من قريتها وصولاً إلى بروكسل. فهي تشعر بأنها غريبة عن البيئة التي تحيا فيها. فتقول: "هذا المكان لم يعد مكاناً ملائماً لي لقد أصبحت غريبة تائهة حتى أنني لم أشعر برغبة بالصراخ في وجه من يزعجني" (بدر، 2015، 172) حتى عندما تذهب فاطمة إلى الحفلة الوطنية في بلاد بلجيكا، تجد نفسها غريبة ولم تستطع التآلف مع الثقافة الجديدة في البيئة الجديدة لذلك نجدها تقول: "لم يعد هنالك ما يربطني، شعرت بأني غريبة عن كل ما يحيط بي" (بدر، 2015، 173) شعور فاطمة بالاغتراب شبيهة بالشجرة التي فقدت جذورها، ونتيجة شعورها بالاضطراب والتوتر أثناء إقامتها في بلجيكا وعدم ثقة المجتمع بها فهي تقع في صراع مع قيمتها قد دفعها هذا إلى الانحراف، وأن انتحارها غير الناجح هو الخطوة الأولى من تصرفها الشاذ، وهي باعتبارها مهاجرة عربية تواجه تعارضات ثقافية جديدة، فقد أصيبت بنوع من الإحباط ما يسميه الاجتماعيون الاغتراب المكاني والاغتراب المكاني شعور تنتاب الشخص عبر رحلته من مدينة أو منطقة إلى أخرى بغية تحقيق الآمال والأحلام فإذا به تغمره هذه الشعور لأنه لا يجد سبيلاً إلى تحقيق مبتغاه فيحس باليأس والإحباط" (بنت بلال، 2007، 135) نصل إلى نتيجة أنها فقدت سكينتها النفسية وهويتها الحقيقية.

من أهم المؤشرات في شخصية (فاطمة) هي فقدان الذات والشعور بالضيق، واغتراب الذات تبدو جلية واضحة في الرواية فهي شخصية تفر من ذاتها باحثة عن موقف أفضل وهوية أخرى وهذا كان سبباً في تغير اسمها إلى (صوفي)، فتقول: "قررت أن أغير هويتي، أن أغير حياتي برمته. الشيء الأول الذي قررت تغييره هو اسمي، لم أعد فاطمة العربية، إنما صوفي البلجيكية". (بدر، 2015، 174)، في النص، نرى أن (فاطمة) تقرر تغيير هويتها بسبب انزعاجها من اسمها وهويتها العربية وشعرت بعدم الاحترام وما زاد يأسها وضيقها وشعورها باستهانة المجتمع الجديد باللاجئين وعدم احترامهم لهم بسبب الاعتقاد السائد بأن اللاجئين هن عاهرات فينظرون إليهن بعدم الاحترام "فهم لا ينظرون باحترام للاجئين القادمين بسبب الحروب والأخطار. فالأخرون فقراء، وحيدون يعيشون على المساعدات، لا يعرفون اللغة، وهكذا تنظر طبقة المهاجرين العاملين إلى اللاجئين باحتقار دائم للمرأة، على نحو خاص، فهم يعتبرونها عاهرة، أو عاهرة كامنة، لذلك؛ فهم يحاولون الإيقاع بها قدر الإمكان". (بدر، 2015، 174). هذه الصورة تبين صعوبة اندماج اللاجئين في المجتمعات الجديدة. يتعين على اللاجئين التكيف مع التصورات النمطية والتمييز والاستهانة التي قد تواجههم. وهم يحاولون بذل قصارى جهدهم للحصول على الاعتراف والمساواة في المجتمع الجديد، وقد يتضمن ذلك تغيير هويتهم ومظهرهم لتلائم الثقافة والتوقعات المحيطة بهم، فتقول: "كنت أبحث عن سبب مأساتي، فأدركت أن سبب مأساتي هو أنني أعيش في هذا العالم كلاجئة غريبة ووحيدة أيضاً". (بدر، 2015، 173)، تصف (فاطمة) نفسها بأنها غريبة ووحيدة، بسبب شعورها بالانفصال عن البيئة التي نشأت فيها وعن المجتمع الذي كانت تعرفه، وهذا يزيد من شعورها بالغربة والوحدة.

نلاحظ في العبارات أعلاها أن فاطمة تكشف بصراحة عن شعورها بالاغتراب وهي في بحث عن طريق للخلاص من هاجس الاغتراب. وأن هذا الشكل أو النوع من الاغتراب لديها يمكن فهمه هكذا، إن توقع أو احتمال الشخص، بأنه لا يقدر على مكتسبات شخصية وقوى حيوية، حيث يبحث عنهما في حاصل تصرفه بنفسه.

في روايتي "عازف الغيوم" و"الكافرة"، تواجه شخصيتا (نبيل) و(فاطمة/صوفي) تحديات كبيرة في محاولتهما التكيف مع البلد الجديد (بلجيكا) والاندماج في المجتمع الغربي. حسب ما مضى تبدو إشكالية الاغتراب في التبادل بين شخصيات الرواية بطريقة واضحة، وعلى وجه التحديد إن اغتراب فاطمة هو نوع من الضعف واغتراب نبيل نوع من العزلة الاجتماعية. إن ظاهرة الغربة متجلية تماماً في الروائيتين، والشخصيتان الأصليتان تتصفان بالاغتراب بنحو من الأنحاء، هذا الأمر متجلّ في التصرفات والمواجهة والتعامل مع القضايا والأشخاص، وكيفية اتخاذ القرار، حيث كأنه هناك حوادث مشتركة بينهما تفضي إلى اغتراب كل منهما عن مجتمعهما.

1.2. النتائج:

- بيئة العراق من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية جعلت الناس أن يهاجروا فيها إلى المنفى وأمثلة ذلك ما جاء في رواية (الكافرة) حيث يصور الروائي شخصية فاطمة وقد أجبرتها القوات المسلحة المتطرفة على مغادرة بلدها وكذلك ما تعرض له نبيل في رواية (عازف الغيوم) وما لحقه في بلده قبل أن يرتطم بما لحق به وينتظره هناك في بلجيكا.
- نفى نبيل في رواية (عازف الغيوم) كان بسبب رغبته وسوء حالته الاجتماعية مع ناس بلده وكذلك سيطرة الجماعات المسلحة على مدينته.
- الاغتراب الثقافي والفكري الأيديولوجي جعل السارد (نبيل) يجعل خيار الهجرة أمامه على الأقل ليحقق أمنيته في عزف التشيللو.
- . تبين رواية عازف الغيوم صورة واضحة للتطرف الديني الذي سيطر على المجتمع وعزل الفن عن المجتمع.
- عرضت رواية (عازف الغيوم) شخصية نبيل القوية من خلال المعاناة التي واجهه في الطريق إلى أوروبا على الرغم من الخوف والقلق إلا أن رغبته في مواصلة المشوار فاقت ما ينتاب رحلته من مشقة يتعرض له الآلاف من أبناء شعبه للوصول إلى الملاذ الآمن التي يصبون إليه. وكذلك في (الكافرة) حيث تتجاوز معاناة فاطمة في الطريق من الخوف والقلق إلى مسألة الاعتداء عليها في طريقها إلى بروكسل.
- واجه السارد في بلاد المنفى ما واجهه في بلده وكأن الروائي يريد أن يصور لنا حتمية اليأس التي تلاحق أبناء بلد السارد وديمومة الاغتراب عن المحيط الذي يولدون فيه والذي يقصدونه في المنافي البعيدة، وهذا ما نجده في شخصية فاطمة بعد هجرتها في بلاد المنفى هناك حيث إذ أخذت تفكر في الانتحار بعد ما شعرت به من الوحدة والدونية والغربة والضياع وفقدان الهوية.
- تبرز لنا الرواية أن من المشكلات ما هو كوني عام فما دفع ببطل رواية (عازف الغيوم) إلى الهجرة بعد تمييز وإقصاء وتهميش يجده ماثلاً أمامه في بلاد الأحلام التي طالما تمنى الوصول إليها.
- تبين رواية الكافرة صورة الرجل في المجتمعات المتدنية تجاه المرأة بعد وصول فاطمة إلى بروكسل والتقاءها بالمهاجرين الألبانيين.

المصادر والمراجع

- بدر، علي (2015م)، (الكافرة)، (الطبعة الأولى) العراق (منشورات المتوسط).
- بدر، علي (2017م) (عازف الغيوم) (الطبعة الثانية)، بيروت – لبنان، (دار الرافدين).
- بنت بلال، روضة عمر (2007م)، (الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره)، (د.ط) سعودية (جامعة أم القرى).
- الدة، أحمد رشيد (2010م)، (السلطة في الرواية العراقية)، اطروحة الدكتوراه، كلية التربية، جامعة بابل.
- السكاف، حسين (2014م)، (الرواية العراقية وصورة الوجد العراقي)، (الطبعة الأولى) بغداد (دار الكتب والوثائق).
- خالد، عبد الكريم هلال، (1998)، (الاغتراب في الفن دراسة في الفكر الجمالي المعاصر)، (الطبعة الأولى) د.م (منشورات جامعة قارتونس).
- عطية، أحمد محمد، (1981م)، (الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية العربية)، (د.ط) القاهرة، بيروت (مكتبة مدبولي، مؤسسة مطابع معتوف).
- فهمي، ماهر حسن، (1975م) (الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث)، معهد البحوث والدراسات

العربية.

کورز، لیوئیس (1383هـ)، (حیة ومفهوم حکماء علم الاجتماع) ترجمة: محسن ثلاثي، (الطبعة الحادية عشرة) طهران (منشورات علم).
النوري، قيس، (1988م) (الإغتراب إصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً)، مجلة عالم الفكر، مج، 10.